

في التربيـة والتعليـم

واجب المعلمين والحكومة والكتاب - ٢

لبرهان محمد مصطفى المامى

مدير الادارة، بوزارة الاوقاف

المسألة الثانية ، مسألة المدرسين ومن في حكمهم فلا شك أنهم مطالبون بالاهتمام بتأديب الأطفال وتهذيب غرائزهم وتخريج الأساليب لتنمية نفوسهم بما ينمى فيها الخلق الكريم والملكات المالية ، فلا تكون العناية موجهة وحدها إلى شحن أذهانهم بالعلم وإلى جعلهم طيلاً منفوخاً يدوى إذا ضرب دويلاً شديداً فإذا زقت لم تجده شيئاً .

حقاً إن واجب المدرسين قبل العناية بالعلم بذاته ، أن يعتنوا بأدب الأطفال وأن يأخذوا في دراسة الأساليب التي تخلق منهم شباباً يجمعون إلى نشاط الشباب وحمية الفتوة قوة التمييز في الأخذ بالنافع وترك الضار .

أنا لا أنكر أن في مدارسنا مدرسين فضلاء أخذوا من العلم بأفوى سبب وانطوت صدورهم على أشرف المواطن وأذل المقاصد وانصرفوا إلى الاخلاص في عملهم والجد .

ولكن لا يليق بي أن أنكر أن في بعض أساليب التهذيب التي يجري عليها البعض منهم ما لا يتفق ومهمة تهذيب النفوس تهذيباً صحيحاً محققاً للعناية المرجوة .

لا أريد أن أتغفل في العمل فني من أخص أعمال المدرسين ، ولكنني أمس بصفتي والد التلاميذ في المدارس وصديقاً لآباء الكثير من هؤلاء التلاميذ ، جانباً من الضعف الذي يجب أن نعمل جميعاً على تلافيه وتنبيه الأذهان إليه خدمة لوطننا بل لأنفسنا .

إن كثيراً منهم يعمل كصانع عهد إلى بسبك حلقة أو نسج قطعة من القماش كل حمة أن يتم صنعها ابتقرع منها ويستريح . فأما لذة الاقتناع في العمل التي تدعوه إلى انتقاء أجل الصور لبسبك حلقة وتخليص عناصرها من كل زغل وتصفيتها من كل شائبة . أما ابتداع رسوم وصور مشوقة لنسج قطعته وجعلها من الطراز الأول فذلك ما لا يهتم له .

وقد يكون له غرضه عند نفسه إنه لا يوفى ما يراه حقاً له من رقي وتقدير ، ولكن لو

أن مثل هذا الأخ المدرس التفت إلى أن في عمله ناحية تقتضى التضحية وتستوجب الاقتصاد في حقوقه الذاتية، وإلى أن شأن المعلم منذ خلق شأن السراج يضئ للباس وهو يحترق، لوجود من حسن القيام بالواجب، وطما نينة الضمير إلى هذا الأداء خير عوض لما قد يفوته من تقدير ودرق، هذا إلى أن ما يناله من سعادة كلما رأى النجاح في الحياة من نصيب تلاميذه، وكما رأى ثمار غرسه زينة الدنيا وبهجة الحيل، فليقبل إذن على عمله راضيا، وليعلم أن المال والجاه ليسا وحدهما طريق اللذة والنعم في دنيانا هذه، فإن اللذة الخالصة والسعادة الكبرى في القيام بالواجب على أتم صورة وإكملها.

والسؤال الثالثة، واجب ولاية الأمور على معنى أخص، للحكومة أول من يطالب بحماية الطفولة والعمل على توجيهها إلى النواحي الطبية والميول السكرية.

ولعل خير ما تفعله الحكومة في هذا السبيل أن تسن من التشريعات ما يهذب نفوس الأطفال ويهدي من نزواتهم وليسكن أصرح من ذلك قليلا.

أنتم نرون أن بلادنا تتقدم نحو المدنية بحمل واسمة، حتى لقد أصبحت القاهرة والأسكندرية وبعض المدن الأخرى تضارع الحواضر والمدن الأوروبية، وتبارى المدنية بتقاعها وعمورها بكاد يحرفنا، فإن لم تكن هناك قوة حيوية ودعامات متينة تحفظ من شدة هذا التيار، فإذا تكون النتيجة إلا أن يحرفنا إلى حيث لا أمن ولا سلام؟

بين حين وآخر تفتح في مصر وغيرها دور للصور المتحركة تستقبل من شاء أنات ورجال وشباب وأطفال. وإن صح أن بها جانبا من الخير فيما تقدمه من التسلية وفيما تتضمنه بعض القصص التي تمثل فيها من الدروس التحليلية للمواطن الإنسانية، فإن هذه القصص نفسها تجعل في طياتها دوافع للشباب على العبث والفتنة؛ بل إنها تنبذ من غرائزهم الجنسية وتجي من عواطفهم وميولهم ما يبرز كامن شهواتهم في مظاهرها الجالحة التي تنقلب فيها على العقول، ويتعمد فيها كبح هذا الجراح.

أفليس من الواجب إذن أن يسن تشريع يحمي الطفولة من عبث هذه الدور؟

لسنا أول من فسكر في هذا، ففي البلاد الغربية التي هي منبع المدنية الحديثة حرم على الأطفال في سن مخصوصة أن يلقوا أبواب هذه الدور إلا إذا كانت المشاهد التي تعرض خلقية تهذب النفوس وتصرفها إلى جانب الخير وتكسبها نشاطا جديدا لأتقان العمل ودقة التفكير وجودة الرأي.

بل لقد أخذت البلاد الشرقية التي تلاحق مصر في الرقي بهذه المبادئ السامية، وهذه فارس قرأنا عنها بالأمس القريب أنها وضعت تشريعا يمنع دخول الأطفال ما بين الخامسة والخامسة عشرة دور السينما.

إذن فصر جديدة بأن لا تتأخر عن غيرها من الأمم الغربية والشرقية في هذا المضمار.

وإذا كانت الحكومة قد اهتمت بوضع تشريع لحماية الأحداث في دور العمل لضمان

عدم استقلال قواعدهم بما يؤدي إلى اضطلال أجسامهم ، وإذا كانت الحكومة قد كفلت
بمنايتها مشروع مصايف الأطفال ، فماتان الناحيتان على ما يستحقان من شكر ، قد لا تكونان
أجدر بالعناية من تهذيب النفوس ومحاربة نزعات الغواية وعوامل الشر التي تنضج بها تلك
المشاهد الصادرة والتي تقسرب من المدن والحوضر إلى الأقاليم ، فتطغى على نفوس الأبرياء من
الناشئين ولا تزال بهم حتى تبلغ بهم الخضيض .

ما ذكرته عن دور الدين ينطبق على المسارح ومجال اللهو ومشارب الخمر فكل هذه
مهلكات لأولادنا ، فأنات لزعة الشرف ، باعناث للفتنة من مراقدها .

لا تقولوا إن مثل هذا الواجب أجدر أن يقوم به الآباء والأمهات باعتبارهم مسؤولين عن
رعاية أبنائهم . فهذا حتى إلى حد ما ، قليل الأثر من الوجهة العملية ولا سيما أن الأمية
لا تزال متفشية فينا إلى أكبر نسبة . ومثل هذه الحرب التي أدعو إلى شنها على هذه الدور
أخرج ما تكون إلى تشريع ينظم ميدانها ويلزم كل إنسان حده ويفتح عين كل والد ووالدة
على الحقيقة المرة التي لا يحجبها إلا بعد فوات الأوان وتعدر الأسلاح .

كما أن على الحكومة واجباً آخر هو مكافأة العاملين لتربية النشء وحفرهم الكتاب
إلى مزاوله هذا العمل الجليل بالتشجيع الأدبي والمادى حتى إذا وجد الكاتب أن عمله
مقدور أحسن القدر وأنه يجزى عليه خير الجزاء اشتدت حمته في الاجادة وتنافس العاملون
في سعيهم وليس ذلك بقليل في بناء صرح طال من أخلاق الأمة .

أما المسألة الرابعة فهي ما يجب على كتابنا وأدبائنا من القيام بنصيبهم في إمدادنا بما يتف
عقول أطفالنا وبهذه نفوسهم ، وهي ناحية على مالها من الخطورة والأهمية كان الكتاب إلى
عيد غير بعيد لا ينظرون إليها نظرة جد ولا يوجهون إليها أقل عناية .

ويمكننا أن نحدد مراحل الطفولة بأربعة مراحل :

الأولى : من مولد الطفل إلى نهاية السنة الثالثة ، وهي مرحلة لا يمدو الطفل فيها أن يكون
دمية تعلقها الأبدي وتطبع على وجدانه قبلاات الحنان وتنجه إليه نظرات العطف والأشفاق .
وكلمات التذليل والتعجب . فليسعد الطفل بهذا العهد الجميل الذي يذوق فيه حلاوة الله على أن مداركه
لا تذكر من لذائذ هذا العهد شيئاً ، وإلا لفضل أن لا يتخطى هذه السن إلى مافي الحياة من
آلام ومتاعب . لندعه يرحل في جو ملائكي بديع ترفرف عليه براءة الطفولة وطهارة النفس
ونقاء السريرة ، ولنتنقل إلى المرحلة الثانية ، وهي من نهاية الثالثة إلى السادسة ، وهي أول ما همونا
من دراستنا هذه فهذا الطور هو الذي تبدأ فيه مدارك الطفل تكوينها فيأخذ في الانقياد إلى
ما حوله قليلاً قليلاً ويميل فيه إلى نوع من الخيال ، ويعمل حب التقليد والمحاكاة عمله في نفسه ،
فالطفل في هذا الطور لا ينظر إلى مصاعب الحياة كما ينظر إليها بعد إذ يشتد ساعده وينمو
إدراكه ولو خلطت بينه وبين القطار العظيم والظائفة الضخمة لوجدته مندفعاً إلى البحث
بأعلامها وصباهاها بمعنى أن يوفق إلى أن يسير أو يطير . فخياله يرمي به إلى استسهال الصعب

وتأهيل المستحيل ، فإذا أضفنا إلى هذا مافى الطفل من ميل غريزي إلى التقليد والمحاكاة عرفنا أن هذه المرحلة شديدة الأثر في تكوينه وتركيز مداركه ، وهو في هذه المرحلة شديد الاشتياق إلى سماع القصص الغريبة التي تنطوي على العجائب وتتضمن أنواعا من البطولة وصنوعا من الأعمال لا تقع تحت حسه ولا يشعر بوجودها فيما تقع عينه عليه في بيئته ولا تصل إلى سمعه فيما يصل إليه من أحاديث أهله وأقاربه .

فإذا انطوت هذه المرحلة ودخل الطفل في المرحلة الثالثة بين السادسة والثانية عشرة وهي السن التي يتعلم فيها الطفل القراءة والكتابة ويستطيع أن يميز إلى حد ما الخبيث من الطيب ، كما يستطيع أن يحرك عقله فيميز بين ما يصح تصديقه من الحكايات والقصص وبين ما لا يصح تصديقه إذ يكون قد وصل إلى حد يفهم فيه قوى الأمان على ما يقرب من حقيقة ما يعرف فيه أن ما يراء من عجائب الفن وبدائع الاختراع لا يرجع إلى قوى خفية مستورة عن عيون البشر وأفهامهم ، وإنما يرجع إلى العلم والتفكير .

ولعل هذه المرحلة أخطر مراحل الطفولة ، فإن ما ينطبع في عقل الطفل فيها من الصور وما ينفذ إلى ذهنه من المعلومات وتأثر به حواسه من المشاهد والمقائد ، لا يذترعه منه شئ رلو تضافت قوى التعميم والتهديب ، لذلك كان واجبا أن نبذل أقصى العناية ليكون ما يقرأه الأطفال فيها نافعا لهم ، مقوما لأخلاقهم ، منمعا في نفوسهم روح البطولة ، دافعا بهم إلى حب الاستقصاء والاستطلاع ، باعنا لهم على الاعتماد على النفس والرغبة في السكال ، مرعفا أذواقهم ، متوجها بها إلى دقة التصوير والملاحظة .

وبعد هذا السن ينتقل الطفل إلى طور المراهقة وفيه تتحدد ميوله وينصرف إلى حفظه من الحياة إما في طريق الخير أو في طريق الشر .

ولا يستطيع أن ينكر عاقل أن المرحلتين السابقتين لهذا الدور هما الأساس لتحدد ميول الطفل وانصرافه إلى أحد الطريقين ، فإذا شدت من ذلك شواذ بان حسن تعهد الطفل تمهيدا كان من شأنه أن يوجهه إلى الخير ثم تبين انصرافه إلى الشر فلمل ذلك راجع إلى عوامل أخرى من البيئة وغيرها يحتاج إلى التقصي لاستكناه حقيقته .

ولست أجد هنا ما كشفه العلم من تأثير الوراثة في الأخلاق والعادات ، ولكن أليس من المتفق عليه بين علماء التربية أن العناية بتهديب الفرائث في النفس الإنسانية والعمل على بث الفضائل والأخلاق السكرية فيها هو أفضل الوسائل لإيجاد الإنسان الكامل ؟

ولسنا نقصد بالأخلاق تلك الآداب العامة التي تدعو إلى الحكم لصاحبها بكمال آدابه ، وإنما نقصد تلك الغرزة النفسية التي تمائل الكفاء والعقل وغيرها من الفرائث القابلة للتنمية والكفيلة بأن تخلق في النفس الداخلية روحا قويمه كريمة تصلح لأن تكون أساسا متيناً يبنى عليه تجارب الحياة ومشاهداتها وملاحظاتها بناء شائعا يصعد بصاحبه إلى ذروة المجد والسعادة ،

الغاية...

للمستأذ اصمحر فؤاد الالهوالمى

أستاذ علم النفس والتربية بالمدارس الثانوية

إننا نسير على غير هدى ونتجه إلى غير غاية ، ونتمثر فى مشيتنا ، ونخبط فى سيرنا ، ونهيم على وجهنا فى جميع الطراف ، كالذى يخرج من منزله وهو لا يدري أين يذهب ، فلا يزال يدخل فى شارع ويخرج من زقاق ، وينعطف إلى حارة وينصرف من درب ثم يعود كما بدأ ، وهو لا يعلم أين ذهب ومن أين جاء ، ولا يزال هكذا حتى يقضى الله به أمراً أو يفتن لنفسه فيفكر فى شأنه ويرمم وجهه التى يريد .

هكذا أمرنا فى مدارسنا التى يتلقى فيها أبناؤنا العلم . أمى مجرد دروس تلقى ، وطلاب يستمعون ، ومدرسين يشقون ويجدون ؟ أم تقصد من هذه الدروس غاية معينة ومهدفاً مقصوداً ؟

ذلك ما نريد أن نبيته فى صراحة ، حتى نعرف عيوبنا ورمم خطة للأصلاح . ولعلك تقول : وهل فى مدارسنا عيوب ؟

كلها عيوب وذنوب ، تشهد بذلك النهاية السيئة المحزنة التى ينتهى إليها المتخرجون كل عام ؛ إذ يتكلمون فى جميع الطراف ، ويستحيلون إلى فئة العاطلين ، فيضيئون إلى الأمة الضعيفة المريضة ، أعضاء ميتة لا حياة فيها ، وتعيش متطفلة على حساب الشعب المسكين . يشهد بذلك تغيير المناهج كل آونة وأخرى ، ولعلك لا تنسى أن المنطق يفرض علينا أن تلقى فى ألبنا أن المنهج الجديد يلغى المنهج القديم للعيوب القائمة فيه ، فتغيير المناهج دليل على فساد الأمر ، وكثرة تغيير المناهج دليل على شدة الفساد . ويشهد بذلك وزير المعارف الجديد إذ امتحن بنفسه بعض المتخرجين فى المدارس الأولية ليعرف مبلغ ما وصلوا إليه من العلم ، ونهاية النور الذى أزال جهلهم وعمهم فإذا بهم كما كانوا لم ينقشع جهلهم ، ولم يزدحم العلم نوراً ، بل قل إن هذه القشور التى جعلت من عقلاء الفلاحين أميهاً متعلمين وما هم بمتعلمين ، قل إنها أدت وستؤدى — إن لم يصلح الحال — إلى نتائج شديدة الخطر .

ولكننى لا أريد أن أظن على التعليم الأثرى وحده ، فقد يكون التعليم الابتدائى ، أو التعليم الثانوى لآنى شديد العلة به ، أشد من التعليم الأثرى فساداً ، والواقع من الأمر هو أن التعليم الثانوى لا يؤدى وظيفته تأدية حققة سليمة ، وفى حاجة إلى كثير من الإصلاح والتغيير .

ففي كل ناحية من نواحي التعليم يلفاك الفساد والفضب والعبث والخلل ، ولا يصلح أن تنظر إلى كل ناحية على حدة ، فهناك عامل مشترك بين نواحي التعليم جميعا هو الذي يفسدها ويضيع الفائدة المطلوبة من العلم ، ويلتقي جهود الوزارة والنظار والمدربين والطلبة . ذلك أن الطلبة لا يألون جهدا في العمل المضني ، وهم - كما يطلب إليهم - لا يحركون ساكنا ولا تسمع لهم صوتا ، حتى أنك تدخل الفصل المدرسي فتسمع رنين الآبرة إذا وقعت على الأرض كما يقولون في الأمثال والمدرس لا يزال « كالأسطوانة » التي تدور على « الفونوغراف » يسمع الطلبة دروسه وهو مضطر أن يتحدث طول الوقت ، لأنه إذا سكنت تسكلم الطلبة ، فأما أن يتكلم المدرس أو يتكلم الطلبة ، بل هو مضطر أن يلقي درسه بأعلى صوت حتى يسمع آخر تلميذ في الفصل ، وحتى لا يتلقى أمثال هذه الملاحظات « مش سامع بابيه » !

فإذا فرغ المدرس آخر النهار جلس إلى مكتبه يصحح الكراسات ، وإذا بالحصّة التي استغرقت ساعة من الزمان ، نلّهم ساعتين في التصحيح ، ثم يخرج المدرس وقد تارت أعصابه وتوترت ، وزاغ بصره لا يدري أهو من كثرة النظر إلى السيورة والكراسات والكاتب أم هو من تطاير غبار الطباشير في عينيه . والنّاظر يتوجه من الصباح المبكر قبل دخول التلاميذ ، ويخرج بعد انصرافهم ، وأعباءه مضنية ، ومسؤوليته كبيرة ، والوزارة تستعنه كل وقت وتذك له أجراس المدرسة ، وتبعث له المفتشين ، ولا تزال الوزارة جادة في عقد الاجتماع ، واستقدام الاختصاصيين والخبراء ، وإرسال البيانات والنشرات ، حتى لقد بلغ من كثرة هذه المنشورات الوزارية الخاصة بالدروس والمناهج والامتحانات وشئون التعليم المختلفة ، أن المدرس لا يمضي عليه يوم من غير أن يعضى منشورا . لقد كره المدرس كثرة ما يضع من إمضاء تارة في الكراسات وتارة في المنشورات وفي مستهل كل حصّة على أوراق الغياب ، لقد كره المدرس نفسه ، ومضت إمضاءه ، التي قتلتها المدارس دون المضي إلى أروقة المصارف وجبستها الأوراق المدرسية ، عن النظر إلى « شيكات البنوك » .

فهؤلاء هم الطلبة ، والمدرسون ، والنظار ، وهذه هي الوزارة ، الكل جادون منصرفون إلى عملهم بما يفوق الطاقة والعزم ، لا يستطيع أن تصفهم بالتقصير أو التباطؤ في العمل ، والنتيجة مع ذلك فساد التعليم فأهو هذا العامل العجيب ؟ هناك عوامل كثيرة متنوعة مختلفة ، ولكنني أعتقد أن عاملا منها هو أقواها وأعظمها أثرا ، وأشدّها تشبّثا للجهود إذا انعدم ، وتوجيها للزأئم إذا وجد ، ذلك هو الغاية التي يبتغيها من كل هذه الدولة التعليمية ، بما فيها من طلاب ومدرسين ونظار ووزارة ، وقد تختلف

الغايات من بلد إلى آخر ، ومن زمان إلى زمان . فقد كانت غاية العلم في القرون الوسطى الثقافة ، لأنه لم يمكن تعلم إلا الطبعة الممتازة ، والتي تستطيع أن ترقى إليها . فكان التعليم نوعاً من الترف ، ومن العيب أن يكون الشخص جاهلاً .

وفي إنجلترا حيث الشعب متنقل مستعمر ، لا يستقر في مكان ، فأنهم في حاجة إلى تعليم أبنائهم الاعتماد على النفس كل الاعتماد ، لأنهم حين يشبون سيبلغ بهم في أما كن سحيقة لا صلة بأهلهم بها . وغاية التعليم في ألمانيا أن يخرج الطالب طامساً بمعنى الكلمة ، ولذا كانت دراساتهم أجف وأعمق من الدراسات الإنجليزية ، التي تعنى بالنظرة الأجالية فقط . أما في مصر فقد كانت غاية التعليم تخريج موظفين يصلحون للأدارة الحكومية ، ثم أراد القوم بعد النهضة الحديثة أن يخرجوا على الماضي ، وأن يرموا سياسة جديدة للتعليم ، فتغيرت المناهج بل قل إنها قلبت رأساً على عقب : ولكن ما هي الغاية التي تريد أن تصل إليها من هذا الإصلاح ؟

أنا شخصياً لا أعلم هذه الغاية ، وقد سألت كثيراً من المسؤولين فلم أستفد منهم شيئاً ، ثم إنى لم أدخل في رموس أحباب الأمر ، حتى أعلم ماذا يريدون بهذا الإصلاح ، ولكننا نستطيع أن نسوق الحوادث لعلها تقيئنا أو تدلنا على شيء . لقد بدأ الانقلاب في عام ١٩١٥ ، ومنذ ذلك الحين ونحن نشهد تغييراً يعقبه تغيير ، وتعديلاً يتلوه تعديل ، فكيف يتم ذلك ؟ إنهم يستمعون بالنظم الأوربية في التعليم يستقون منها هذا التعديل ، ويستلمون الإصلاح والتغيير . وقد فات القوم أن ما وضع لدولة لا يصلح لدولة أخرى ، لا سيما أن ظروفنا الاجتماعية وثقافتنا الشرقية ، ولغتنا العربية التي تختلف كل الاختلاف عن جميع اللغات الأوربية ، وتاريخنا الذي عمل في قوميتنا وركبت منه حياتنا الحاضرة ، كل هذا يباعد ما بين مصر وبين غيرها من الدول ، فإذا كان لابد من إصلاح فليكن محدوداً بهذه العوائل ، وإذا استعنا بالسياسة التعليمية في الغرب ، فليكن الغرض من ذلك أن تنير أماننا السبيل لا أن تكون مشقة تتبعه طبق الأصل .

هذه الغاية التي تنقدها في جميع مراحل التعليم في مصر ، والتي نغفلها إغفالاً ، ونبتعد عنها رغم عنا ، والتي يجب أن نلأثم مصر في وقتها الحاضر ، وفي ظروفها الحالية ، هي الغاية الوطنية . ذلك أننا نجتاز ظرفاً سياسية غريبة ، ومن العيب أن نقش أنفسنا فنسقول إن سيادتنا أصبحت كاملة ، بل هذه السيادة منقوصة ، وحدث الناس ، وعمل أولى الأمر ، وعتابة الصحف التي تمثل الرأي العام : تنجه كلها إلى الناحية السياسية ، التي تشغل بال الجميع وتقتض مضاجعهم . فمن العيب أن تصرف الناس عن الاشتغال بما يشغل بالهم ، وهي

التربية المصرية . يجب أن يكون خير مصر ورقمتها ، هو الهدف الذى يتجه اليه كل مصرى .

يجب أن تكون الغاية من التعليم هى الغاية الوطنية .

فالمدرس عس فى دروسه بين حين وآخر التواشى الوطنية : حتى يستمض الطعم ، ويبعث الحياة والنشاط والتطلع إلى العمل وإلى المجد ، وإنك لا تتبرع أن تتناول هذه الناحية حتى تجد الاعنان مشربة ، والأذان صاغية ، إلى ما ستتناوله بالبحث . فماذا لا تستغل هذه الظاهرة لجذب انتباه الطلاب وتفهمهم إلى الدروس ، وندفعهم إلى العناية والاهتمام بما يدرسون . والملاحظة الغربية التى لغت نظرى طول مدة تدريسي ، هى عناية الطلبة دائماً بالناحية السياسية الوطنية فى مصر ، فما تعرض مسألة عس السياسة حتى تجد الأسئلة يهال ، متعطشين إلى الأجابة ، وكنا نضطر إلى عدم الخوض فى مثل هذه المسائل ، خشية الخروج على أوامر الوزارة ، وفى هذا خروج على طبيعة الأشياء ، وذلك هو مصدر الفساد . ذلك أن المهم فى التربية والتعليم هو اهتمام الطالب بدروسه ، أن يسعى إليه بنفسه لا أن تلقنه له تلقينا ، كما بينا فى مقال سابق .

وإذا كانت مصر الحديثة تريد الرقى ، ونسعى إلى النهضة ، فيجب أن تتكاتف الجهود وأن تكون المدرسة هى حصن الوطنية لا أن تكون حربا عليها

فى عام ١٩٣١ ، توجه طلاب معهد التربية العمالى فى رحلة ذلك الشتاء إلى الشام وفلسطين ومصرنا فى طريقنا بجزيرة قبرص ، ومكتناباً حدى موافقاً يوماً ، فزونا المدارس الموجودة بها زدنا مدرستين إحداهما تركية والأخرى يونانية ، لأن أهل الجزيرة قلمان أترك وإغريق . وحضرت درسا فى التاريخ فى المدرسة التركية وكان المدرس يلقيه باللغة التركية التى لا أفهمها ، ولدنا فهمنا قيمة الدرس من الهمجة التى كانوا يلقي بها ، ومن أثر درسه على وجود التلاميذ . أنظن أنه كان يستنتج الحقائق فى التلاميذ ؟ أو كان يلقي عليهم الأسئلة ؟ أو كان يكتب ما يخص على السبورة ؟ كلا ، بل كان يحط بهم وينير حماسهم ، ولهجة الخطابة لا تخفى على السامع ، وأثرها لا يخفى على الملاحظ وإنى أعتقد أن درسه كان ناجحاً نجاحاً تاماً ، بل كان خالداً فى صدور الطلاب ، ولو أن هذا يخالف رأى أساتذة التربية فى مصر لأن العبرة ليست بالحقائق النظرية التى تدرس على علانها فى السكتب ، ولكن العبرة بالنتائج ، ولم يقل أحد أن نتائج التدريس فى الخارج كانت فاشلة .

قد يسوء ما كتب بعض الناس ويؤولونه على غير حقيقة ، ويخرجونه إلى ناحية سياسية ، ولكنى أريد أن يفهم الذين يقرءون هذا أن التوجه إلى الناحية الوطنية : غير الناحية السياسية ، فالوطنية شىء والسياسة شىء آخر ، وأولئك الذين يخلطون بينهما

خاطبتون . كل الخطأ ، فالوطنية هي فهم نواحي الوطن المختلفة أولاً ، تاريخه وزرع
وتجارته وصناعته وأمله وكل ما يشمله الوطن ؛ ثم بالعمل لصالح الوطن أو قل التضحية
في سبيل الوطن ثانياً . ولكن المصريين أو أغلب المصريين لا يعملون إلا القليل عن وطنهم المحبوب
والمتفانون منهم يعملون عن أوربا أكثر مما يعملون عن مصر ولذلك أسباب ليس هنا محل ذكرها .
والقليل منا من يضحي في سبيل مصر ، بل أكثرنا يعمل لمصلحة نفسه فقط .
ويحضرني الآن مثل ظريف على هذه الانانية التي تسود المصريين ، ولو أنه لا يتصل بكثير
بالترية . كنت أتحدث مع أحد الناس لماذا لا يتزوج وقد بلغ سناً كبيرة ، بلغ الثانية
والأربعين ، وهو في مركز حسن ، وعنده ثروة لا بأس بها ، قال إنني سعيد بحياتي على هذا
النحو وفي الزواج مشا كل ومتاعب أنا في غنى عنها قلت ولكنتك لا تتزوج لنفسك ولكنتك
تتزوج لمصلحة الوطن ، لأنك متقف ومن الطبقات الممتازة ، فأولئك سيكونون ممتازين ،
وهم عماد الوطن في المستقبل ، قال ولكنتي أسعى لمصلحة تسمى وراحتي الشخصية وليتزوج
غيري ، قلت إذن أنت أناني ، قال ليكن ذلك . . .

هذه الانانية التي تسود المصريين ، حقيقة لا شك فيها ، لذلك نجد كل شخص منا يعمل
لمصلحة نفسه ، ويتجه الوجهة التي تعجبه ، ومن هنا تفرقت الجهود ، وتشتتت المسالك التي
يسلكها الناس فلا يتفقون على شيء ولا يجتمعون على غاية واحدة ؛ أما القوة فلا تنشأ إلا عن
الوحدة ، وسبيل الوحدة في مصر بل في العالم أجمع اليوم هي العمل للوطنية ؛ لذلك نجد المثل
في ألمانيا « ألمانيا فوق الجميع » وفي إنجلترا « ليسلم الملك » والملك عندهم رمز الوطن
الإنجليزي ، وهكذا . . .

لقد تخلت تركيا عن الخلافة والسلطان العربى لتحفظ بوحدها ، وتوجه الأتراك وجهة
واحدة هي تركيا ، فلماذا نبذل جهودنا عبثاً ، ولا نركزها في مصر بكل معنى الكلمة حتى في
التعليم . فيكون تاريخنا مصريا ، ولغتنا معصرية ، وأدبنا مصرياً ، وتجارتنا معصرية ، وصناعتنا
معصرية ؟ إننا إن فعلنا هذا فإننا نضمن اجتذاب اهتمام الطلاب ، وتوحد جهود التدريس في
قطعة واحدة تلتقي عندها الجهود ، وتتمتع القلوب ؛ ويصلح جو التعليم فيخرج الطالب ممثلاً
حاسماً إلى العمل ، وحرارة إلى البذل بنفسه في سبيل مصر وخير مصر ورفق مصر .

أصغر فؤاد الأهواني

رسائل هربس في التربية

هل المدرسون جميعا يصلحون للتعليم ؟ هذه هي المشكلة التي حاولنا حلها على ضوء التربية الحديثة فلم نقلاج ، بل حاولنا بحجها بكل ما أوتينا من قوة وجهد فكانت نصيبنا الفشل التام .

ذلك لأننا نظرنا إليها ورؤوسنا ملأى بالأوهام والخيالات ، ثم بحثناها على اعتبار أنها من المشاكل العويصة التي تستدعي عقولا جبارة لبحثها ودرسها ، وتطلب خبرة طويلة ومهارة مستمرة للوصول إلى أعماقها واكتناء سرها فكنا كقائد جيش متأهب للقتال ، سمع صوت منبعا من مكان قريب فعبأ جيشه وصوب مدافعه وخبأ كل قبالة وراح يبحث عن مصدر الصوت في حذر واحتياط وهو في كل لحظة مستعد لإطلاق المدافع وقذف القنابل والنظر ببحر يبحث في أنون المعركة ، وراح جنوده هم الآخرون يتأهبون للموت ويشعر الواحد منهم بأن رأسه في اللحظة التالية سوف تطير من بين كتفيه ، وأخيرا عاد القائد وعاد الجنود وهم أشد ما يكونون إيمانا بأن العدو الماكر ما يزال متواريا عن الأنظار فيفكرون ثم يفكرون ويدبرون ثم يدبرون ، ولأنهم استطاعوا أن ينعوا بالأشياء الثافهة ، لربوا السور العنيفة لمعت بأعواد الخشب فيحدث هذا الصوت الذي تملأهم ذعرا ورعبا .

ونحن بالمثل عند ما أردنا أن ندرس بعض نواحي المعلم أو المربي لنفهم واستطيع الحكم على مقدار صلاحية هذه المهنة نذرنا بالعلم والمعرفة وتسلسلنا بآراء والخبرة والنظريات الهائلة ونسينا السور الصغير .

إن لهذه التربية والتعليم أساسا أوليا يجب أن يتوفر لدينا قبل كل شيء آخر ، هما أوتينا من صدق وحكمة ، ومهما تلقينا من علوم ومعارف فأنها تنهار جميعا إذا لم يوجد هذا الأساس ، وعندئذ يصبح الشخص طالبا أو أدبيا أو متقنا لحسب ، دون أن يكون معلما أو مربيا ، فلا مفر إذن من توفر هذا الأساس وإلا فشل المعلم في مهنته ، وباء بالأخفاق المحقق لقد حار المشرفون على التربية والتعليم في حل بعض المسائل الخاصة بالتعليم ، فأنهم يرون المعلم المجد الذليل يزاول مهنته بأمانة وحجة ، ويلقى درسه في طائفة من التلاميذ الأذكياء النابهين ، فتكون النتيجة واحدة من ثلاث : نتيجة سيئة لا يتسكفا مع جده ونشاطه ، أو نتيجة باهرة ولكنها كاذبة خادعة غير صالحة لانتقال الطالب إلى مرحلة أخرى من مراحل التعليم ، أو نتيجة حسنة حقا لا غبار عليها

بحار المشرفين عن التعليم في حل هذا اللغز ، والسبب في حيرتهم أنهم يحلون الشرط

الأساسي في صلاحية المعلم لأداء هذه المهنة الشاقة ، أو حتى يتجاهلونه في بعض الأحيان لأنه يضاعف أعمالهم وبلقي على عواتقهم أعمالاً جديدة رهنهم وتشغل بالهم أما هذا الأساس فهو ميل المعلم بعظمته إلى الحرية في العمل وعدم التقيد إلى الحد الأقصى بالقبود الثقبلة ، وميله كذلك إلى فضح عقلية تلاميذه أولاً بأول ، بلا مراعاة لرقابة أو مبالاة بمسئولية

هذه نظرية خطيرة نشعر جميعاً بخطورتها وأهميتها ، وإسكننا أسناناً جميعاً مياالين إليها اللهم إلا البعض منا ، وهؤلاء هم الذين يصلحون حيناً لمزاولة مهنة التعليم والتربية قد يحل المعلم في أحد فصول الدراسة ، وبخاصة فصول المبتدئين أو الذين يلوسهم في المرتبة : فينتزع في التدريس وهو يحول درجة خصوصية الحقل الذي سينمى فيه غرسه : ثم يعضى في مهمته كالمسافر في الظلام لا يميز بين الأشياء ، حتى يتناح له بعد وقت غير قصير وبعد أن يتعود بصرة الخلوك والظلمة : أن يرى الأشياء جملة دون تفصيل

وقد يأخذ المعلم النابه منذ اللحظة الأولى في التعرف إلى قصبة تلاميذه وعقليتهم ، لكنه يظل ملازماً للخطة التي رسمها له غيره ، وكلفه تطبيقها على جميع الشخصيات دون إلمة أي وزن للتباين والاختلاف والتفاوت بينها ، وهو في ملازمته لهذه الخطة لا يجيد عنها ، ولا يجب أن يجيد عنها قيد أنملة ، حتى إذا اتضحت له عيوب طريقته ، أخذ يداوى هذه العيوب من طريق عرق غادع ثم لا يمت إلى مهنة التعليم بصله ، حتى يبدو تلاميذه في مظهرهم الطبيعي في حين أنهم ينظرون على معاني أخرى تحالف هذا المظهر ليقول له المشرفون عليه « إنك نجحت نجاحاً باهراً » ، وهو النجاح الباهر عندهم ، الخداع في نظرنا وفي اعتقادنا وإسكنه لم ففكر لحظة في تصحح حقيقة الطلبة بالخروج معهم عن المؤلف في براجمه ليستطيع الوقوف على مقدار تمكنهم من الاستفادة منه

أمنال هؤلاء المعلمين هم الذين لا يصلحون في نظرنا لمهنة التربية والتعليم اعتقاداً القوة الاستقلالية في تفوسهم وطبيعتهم

ونظن أن المسؤولين عن التعليم سيبرهون بنظرياتنا وبععضون ، لأنهم أو أكثرهم لا يجب هذا الاستقلال ، ولأنهم جميعاً سيضطرون إلى مضاعفة الجهد لكثرة ما ينشأ أمامهم من نظريات جديدة تقيجة لاستقلال المعلم ، فيضطرم هذا الاستقلال إلى إحداث انقلابات متكررة في طرق التربية ، ولا يخفى ما تستدعي هذه الانقلابات من مجهودات وقرة اشكار ، ل أن بعضهم يخشى ألا يصالح لمسايرة هذا الأسلوب الحديث ، فتكون النتيجة أن يقال له : « أنت لا تصلح للأشراف على التعليم »

تقلها إلى العربية

(عن أدامس)

ع . ط

الفكرة والعادة

قرر علماء النفس أن التفكير في الشيء يسبق العمل به حتماً ، فالعمل الاختياري إنما يعمل بعد التفكير فيه — فإذا نحن أردنا اعتياد عادة أو البدول عنها وجب النظر في أساس ذلك وهو التفكير

من القوانين النفسية أن الفكرة إذا عرضت ألدخ فقبلها ورحب بها زماناً طويلاً : أثرت فيه أثراً كبيراً ، ثم تحولت إلى عمل ، وإن الفكرة لأول عروضاها تؤثر في المخ اثر بسيطاً ولكنها تكررت كبر أثرها وسهل ورودها وأتتحت العمل لاحتالة ، ثم يعبر ذلك عادة بالتكرار قد ترفض الفكرة لأول مرة ولكن كثرة ورودها على المخ تجعله يقبلها ويعمل على مقتضاها ، وينطبق ذلك على الحياة العملية فنقول : —

هـب أن شاباً مستقماً دعاه مرة ، رفقة السوء ليشرب معهم ، فنرى ن ذلك الشاب عند اجتماع هذا الرأي يرفض الفكرة بتاتا ويقول « لا ، عمل فيه ، ولكن قد يدعوه رفقاؤه لأن يصحبهم من غير أن يشرب ويريدون له هذا الرأي عساؤوتوا من حيل ومهارة ، فيرى بعد طول القول وكثرة الإغراء ، أن هذا الرأي لا يضره مادام في عزمه أن يذهب ولا يشرب — وقد يتم ذلك حقيقة فيذهب معهم ولا يشرب ، وقد يكرر ذلك ولكنه في كل ذهاب معهم تقل قوة الممانعة وتأتي فكرة الشرب في كل مرة ، فتعمق بجراها في المخ ولا تزال تضعف قوة المقاومة عنده حتى لا يرى له قدرة على الامتناع فيشرب الكأس الأولى معتقداً أنه يستطيع أن يضرب عن الشرب في أي وقت شاء ، وهو في كل مرة يشرب يثبت عادة الشرب إذا به سكير . ينال العار من عمله ويخسر ماله من المنزل بين الناس ويضل ، ويرغب أن يعود إلى حالته الأولى فتخونه إرادته ، وقد كان عدم البدء في الشرب وعدم الترجيب بالفكرة أسهل عليه من البدول عنه بعد أن تمكنت العادة من نفسه .

وجود الفكرة في المخ والترجيب بها معناه إيجاد شدة فيه فأذا تركها تشتعل ولم يفلتها من وقتها عمت النار المخ كله وذهبت إرادته مسدى وضاعت كل مقاومة وتقد فعل الشر — وأما إن رفض الفكرة بأدى بده ولم يسمح لها بالبقاء في المخ ، فقد آمن من شرها وأمن من تحولها إلى عمل .

وطريق إطفاء هذه الشدة شيان : أولها طريقة مباشرة وهي عدم السماح لهذه الفكرة أن تحل بالمخ ونيلها بتاتا وعدم سماعها من مجيئها أو بدعوه إليها ، وبجانبية من يميل إليها .

والثاني ، شغل المخ بشيء يتدببه الفكرة الأولى ، فليس أضر على الإنسان من فـ

قارخ وكما يقال « إن الشيطان يسكن حيث يجد المصالح والمخاطر فليحذر » فالخ إن لم يشغله
جدا اشتغل باللهو .

ومثل ما قلناه عن السكران نقوله عن كل المجرمين الذين اعتادوا أى نوع من الأجرام
كالتفاني والسارق ، فالقاتل المتعمد إنما يقتل بعد تمكين الفكرة في مخه وسماحه لها بالبقاء
حتى تملك عليه نفسه وتستحيل إلى عمل .

حكى « القونس سكران » في كتابه التربية الاستقلالية ، أن امرأة عليها صفة الاحتشام
والحياء ، دخلت أحد الحوانيت واتفقت منه ما أرادت وأخرجت من جيبها ورقة بنك
قيمتها خمسة جنيهات ، ولكن صراف الحانوت وجد أنها مزورة فبعت المرأة وأخرجت له
أخرى ، ولكنها لم تكن خيرا من الأولى ، فارتاب الرجل في أمرها وسلمها إلى الشرطة ، وبعد
التحقيق تبين أن هذه المرأة غادمة أمانة ، كان عند مخدومها ورقتان مزيفتان وقتما بيده
إنهما فتركما في بيته من غير أن يمزقهما ، وكانت الخادمة تدخل الحجرة التي فيها الورقتان
كل يوم لتنظفها فتقع عنهما عليهما ولا تميأ بهما ، ولكن تكرر حضورها في ذهنها من
يوم إلى يوم ، ومن شهر إلى شهر ، حتى أخذها ، فرفضت ذلك في أول الأمر بثبات ، وبعد
مرة لمستها بيدها وقبلتها ثم ردتها فورا كأن فيها نارا تحرق أصابعها ، ثم زال بها هذا
الأثر حتى غلبها وأوقعها في السرقة .

فالذي أوقع هذه المسكينة في سماعها للفكرة أن ترد على ذهنها كل يوم وتطلب فيه
النار من غير إصرار في إلتقامها ، فيجب ملاحظة ذلك وعدم ترديد الفكرة في المخ حتى
لا تتكون العادة

ومما يستوجب الأسف أن تأتي السنين الأولى - متى تكون العادات - لا تكون قد
بلغنا حد التفكير الصحيح ولا تكون لنا قوة على التمييز الأشياء تميزا صحيحا واختيار
خيرها لاعتاده ، فإذا بلغنا هذه السن وأدركنا عيوبنا وشاهدنا ما نعتاده من عادات سيئة ، صعب
علينا العدول عنها لتصلها ورسوخها وإن كان ذلك ممكنا ، ولنضرب لذلك مثلا إعادة التنخين
وشرب الخمر ، فليس كلاهما جذابا محبوبا بل إن النفس تنفر منهما بطبيعتها لكرهه طعمهما
وأضرارهما ، ولكنهما يعرضان للمرء في أيام طيشه وشبابه ، فيرى بعض من حوله يدخنون
ويشربون ، ويحمله الوجدان بتقليدهم وظنه إن ذلك يزيد في قدره عندهم على أن يعمل مثل عملهم ،
ولم يعودهما حتى نما عقله ونضجت قوة حكمه على الأشياء لتدرك أن يعتادها - ومن هذا
نظم مقادير ما يستفبد الإنسان إذا رزق مربيًا صالحًا ، والضرر الجسيم إن هو أعمل أو
أصيب بمرزب فاسد

أبو الطاهر خليل

رئيس مدرسة كفر كلاب